تبث التقاليد الزراعية القديمة حياة جديدة في بساتين الزيتون في الأردن

على الرغم من أن الأراضي الزراعية تشكل ما يزيد قليلاً عن 12٪ من أراضي الأردن، إلا أنها تساهم بنسبة تصل إلى 20٪ من الدخل القومي، ولكن لسوء الحظ، تتعرض الزراعة في الأردن للخطر بسبب التوسع الحضري وتجزئة الأراضي وتغير المناخ. اكتشف كيف نساعد في مكافحة هذا من خلال تدريب المجتمعات المحلية على الممارسات التقليدية.

المناظر الطبيعية العامة في قرية نجدة، الأردن © شركة أمجد ومجدي سلامة

في شمال غربي الأردن تقع جرش التي تعد واحدة من أكثر المحافظات ثراءً من الناحية الزراعية، وتشتهر بأشجار الزيتون ذات الجودة العالية لإنتاج زيت الزيتون الذي يتم عصره في معاصر الزيتون المحلية، ويبلغ عمر بعض الأشجار مئات السنين وتعرف محلياً بأشجار الزيتون الرومانية، كما تنتشر زراعة الفواكه مثل العنب والتين والرمان والخوخ بأعداد أقل.

تواجه قرية نجدة الصغيرة في جرش ضغوطاً كبيرةً بسبب التغيرات في استخدامات الأراضي، وخاصة لتحويل الأراضي الزراعية لصالح التنمية السياحية، وفي حين تقع القرية بالقرب من محمية غابات دبين التي تعد واحدة من أفضل الأمثلة المتبقية من غابات الصنوبر والبلوط الأصلية في المنطقة، فإن الطلب على أراضيها يزداد من قبل المستثمرين بهدف إنشاء منتجعات سياحية.

كافح المزارعون في قرية النجدة للتشبث بأراضيهم وممارساتهم الزراعية على مر السنين، إذ اشتهرت نجدة في السابق بزيتونها وزيت الزيتون اللذيذ، ولكن للأسف اختلف الحال اليوم، حيث تخلى الكثير من السكان عن الزراعة التقليدية وانتقلوا إلى المناطق الحضرية بحثاً عن فرص عمل ومصادر دخل جديدة.

المناظر الطبيعية العامة في قرية نجدة، الأردن © شركة أمجد ومجدي سلامة

ومع ذلك، استورد بعض المزارعين أنواعاً جديدةً محسّنة وراثياً، معتقدين أنها ستزيد من إنتاجية المحصول، إلا أن الأمر لم يكن كذلك لسوء الحظ، ومع ظهور أمراض مقاومة للمضادات الحيوية وسريعة الانتشار أصبح الوضع أسوأ، كما أهمل المزارعون المعرفة التقليدية حول مكافحة الأمراض الزراعية واستخدموا المبيدات الكيميائية بدلاً من ذلك، مما أثر سلباً على إنتاجية مزارعهم والمزارع المجاورة.

كما أثر شح المياه في الأردن بشدة على الزراعة، ولا سيما في نجدة، مما أدى إلى ارتفاع تكاليف الزراعة، كما أدى ارتفاع معدلات الفقر والبطالة إلى إثقال كاهل المجتمع المحلي، مما شجعهم على الهجرة إلى

المناطق الحضرية، وهذا بدوره أدى إلى نقص في القوى العاملة، مما جعل من المستحيل تقريباً الاستمرار في الزراعة.

من أجل معالجة هذا الأمر، قامت بيردلايف (من خلال دورها كفريق التنفيذ الإقليمي لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الساخنة التابعة لصندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF)) بإشراك شركة خاصة، شركة أمجد ومجدي سلامة (Enviromatics)، لتشجيع المزارعين والنساء المحليات على تبني الممارسات التقليدية، وبدعم من خبراء زراعيين، سيعمل فريق العمل مع عشرة من أصحاب المزارع لتحسين المحصول ومكافحة الآفات وإدارة الأراضي بطريقة صديقة للبيئة.

تؤمن شركة أمجد ومجدي سلامة أنه يجب اتخاذ إجراءات على مستوى المجتمع، وليس على المستوى الشخصي فقط للتغلب على هذا الموقف، وتحقيقاً لهذه الغاية، بدأوا بتقوية العلاقات مع المزارعين في نجدة، وعقدوا سلسلة من الاجتماعات والدورات التدريبية والزيارات الميدانية. في البداية، لم يهتم المزارعون بالمشروع، معتقدين أنه من الصعب إصلاح ما تم تدميره، ولكن بفضل حملة التوعية هذه، اكتشفوا أن الحل لمعظم مشاكلهم كان بالعودة إلى الممارسات الزراعية التقليدية، وهي أبسط وأوفر بكثير مما كانوا يتوقعون.

تدريب المزارعين على الممارسات التقليدية في نجدة، الأردن © شركة أمجد ومجدي سلامة

نظمت الشركة دورات تدريبية حول مكافحة الأمراض والممارسات التقليدية وكيفية التخلص من الآفات الزراعية مثل الأفعى الفلسطينية والخلد والخنازير البرية دون الإضرار بها، ويمكن رؤية فوائد هذه الدورات التدريبية قريباً في حياة المزارعين اليومية، إذ أخبر أحد المزارعين الفريق أنه فقد محصوله بالكامل العام الماضي بسبب نوع حشرة واحد، أما بعد حضوره الدورات التدريبية، أدرك أن السيطرة على النوع لن يكلفه سوى دنانير قليلة باستخدام مصائد الحشرات!

شكر مزارع آخر فريق المشروع لإنقاذ حياته، فبينما كان يمشي في مزرعته لاحظ وجود أفعى فلسطين السامة التي كانت تختبأ بين أشجار الزيتون، ولولا التدريب الذي تلقاه حول كيفية التخلص من الآفات الزراعية، لربما لقي حتفه بسبب لدغة أفعى.

كما كان من الواضح أن المزارعين يواجهون صعوبة في بيع محاصيلهم بأسعار عادلة، وخاصة فائض الفاكهة والزيتون، كما لم يكن لديهم خبرة في التسويق أو تصنيع الأغذية، علاوة على ذلك، كانت التكاليف الزراعية مرتفعة للغاية مقارنة بأسعار البيع، مما أدى إلى تثبيط عزيمة المزارعين، وإعطائهم سبباً آخر لهجر أراضيهم.

تعتبر النساء جزءاً مهماً من المجتمع، كما أنهن أكثر دراية بالطهي وتصنيع المنتجات الغذائية، لذلك قامت الشركة بتقديم ثماني دورات تدريبية للنساء حول كيفية صنع منتجات مثل المربى والخل والدبس والمخللات والشطة، وكذلك صناعة الصابون من زيت الزيتون. في البدء، لم تحضر سوى 17 امرأة أول تدريبين، ولكن بعد انتشار الخبر وكلامهن عن التدريبات، ازداد العدد ليصل إلى ما يقارب الثلاثين امرأة في كل جلسة تدريبية، وهذا يُظهر رغبة النساء في تحسين سبل عيشهن، حيث ستفتح التدريبات الأبواب لفرص وموارد دخل جديدة.

جانب من تدريبات النساء حول تصنيع الأغذية، الأردن © شركة أمجد ومجدي سلامة

تقول حليمة بني بكار، إحدى المشاركات في التدريب: "لطالما أحبت عائلتي المربى الذي أصنعه في المنزل، ولكن بعد تلقي تدريب صناع المربيات، قمت بإعداده حسب الوصفة خطوة بخطوة، فلم تصدق عائلتي أنه من صنع يدي، وظنوا أنه من السوق".

لتسويق هذه المنتجات، سيتم تطوير موقع إلكتروني وتطبيق جديد للهاتف المحمول، وستعمل هذه التكنولوجيا الجديدة على ربط المزارعين والنساء مباشرة بجمهور أكبر، ولضمان استمرارية عمل السيدات، تعمل الشركة على ربط المزارعين والنساء بالمصانع ومراكز التسويق وشركات التوصيل لضمان بيع منتجاتهم على المدى الطويل.

ستكون الخطوة التالية من هذا المشروع إنشاء مشغل إنتاجي صغير للنساء في نجدة، وسيقسم إلى قسمين: قسم لتصنيع الأغذية، وآخر لإنتاج الصابون، ولضمان نجاح هذا المشغل، سيتم تدريب السيدات على إدارة المشاريع والتسويق ومراقبة الجودة وضمان الجودة.

تقول عبير فريحات، مشاركة أخرى في الدورات التدريبية: "آمل أن نتمكن من إنشاء المشغل هذا، فهذه فرصة رائعة للتعلم من النساء الأخريات وإنتاج منتجات عالية الجودة".

من خلال هذا المشروع، تم إنشاء العديد من العلاقات الناجحة مع المنظمات غير الحكومية العاملة في المنطقة، كما وقع فريق المشروع مذكرة تفاهم مع جمعية الرائدات الريفيات في قرية ساكب المجاورة، لتقديم التدريبات في قاعات الجمعية، كما تبادلت الشركة خبراتها مع المنظمات غير الحكومية الأخرى والحاصلين على منح صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF) الذين يعملون في نفس التوجه الاستراتيجي.

يقول مجدي سلامة، مدير المشروع ومؤسس شركة أمجد ومجدي سلامة: "القطاع الخاص جزء من المجتمع المدني، ولكن للأسف لا تأخذ معظم الجهات المانحة هذا بعين الاعتبار، ولهذا فنحن نقدر بشدة دعم صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة لنا لتنفيذ هذا المشروع الاجتماعي والبيئي، ومنحنا الفرصة لمساعدة المجتمع".

المناظر الطبيعية العامة في قرية نجدة، الأردن © شركة أمجد ومجدي سلامة